مبدعون يـاورهم الإحباط.. واحتضار الأبيض

تحقيق/افتكار أحمد القاضي

□ المعلومة والتقنية فرضتا على العالم لغة خطاب واحدة جعلته قرية كونية صغيرة تكسرت معها الحدود والحواجز وتغيرت معها مفاهيم الهيمنة، بحيث أصبح من يمتلك المعلومة هو المهيمن على العالم، لهذا السبب نجد أن الدول المتقدمة استطاعت أن تسيطر على العلم بسبب استقطابها لأدمغتها الوطنية المبتكرة والمخترعة في شتى مجالات التكنولوجيا، كما أنها عملت على توفير فرص العمل لها لكي تستفيد من خبراتها وإمكاناتها التي ترى أنها ستحدث نقلة نوعية يوماً ما، ولكن ماذا يحدث بالنسبة لنا في اليمن؟! وهل يجد مبدعونا من يرعاهم ويهتم بهم؟!

نحن هنا نتساءل ونبحث عن إجابات لتساؤلاتنا من خلال قضية هذا الأسبوع.

لا تكاد مدينة يمنية تخلو من المواهب والمبدعين في شتى المجالات، وهناك من يمكن أن نطلق عليهم مبتكرين ومخترعين تفتقت مواهبهم وقدراتهم في وقت مبكر وتولدت لديهم العديد من الأفكار وحاولوا تطبيقها في الواقع بإمكاناتهم الذاتية المحدودة، البعض منهم انكفأ على ذاته واحتفظ بابتكاراته لنفسه، وآخرون ظلوا يتنقلون من جهة إلى أخرى علهم يجدون من يحتضنهم ويأخذ بأيديهم، لكن جميع الأبواب كانت موصدة في وجوههم، إلاَّ من كلمات الشكر والمديح التي لا تؤكل خبراً.

ما زال الأمل يحذوهم في أن يجدوا بصيص ضوء ينير لهم الطريق ويسلك لهم السبل نحو التألق والإبداع وخدمة وطنهم، خصوصاً في ظل دعوة فخامة الأخ علي عبدالله صالح، رئيس الجمهورية، للاهتمام بالشباب وإبداعاتهم والأخذ بأيديهم.

□ الدكتور/ عبدالكريم ناشر

□ أحمد الحاج

يأس وإحباط

□ المخترع خالد النعمي، مبرمج في مجال الحاسوب، خريج كلية العلوم، قسم حاسوب، اختير من بين (١٢٠) متقدماً إلى إدارة تنمية المبدعين في المعهد العالي للاتصالات بوزارة الاتصالات وتقنية المعلومات، وبانضمامة إلى هذه الإدارة كان حلمه أن يقدم اختراعاً يخدم المجتمع، وبالفعل تقدم بمشروع التعليم عن بُعد، هذا المشروع يعمل على توفير الأدوات المناسبة لتعليم الطلاب عن بُعد وباللغة العربية، وكذا توفير وسائل الاتصال التفاعلية بين المدرس وطلابه من خلال استخدام الإنترنت من أي مكان في العالم وعلى مدار الـ (٢٤) ساعة يومياً وعلى مدار العام، وعلى الرغم من أن إدارة تنمية المبدعين كانت الانطلاقة الأولى لمشروعه هذا، إلاَّ أنه - مع ذلك - لم يلمس الاهتمام والدعم من أية جهة أخرى تتبنى مشروعه بعد أن انتهى من إنجازه.

يقول خالد : «أُخترت أنا وخمسة من المبتكرين المتقدمين إلى إدارة تنمية المبدعين بوزارة الاتصالات وتقنية المعلومات، وكان لنا أمل في ابتكار واختراع الجديد الذي يخدم المجتمع ويلبي طموحاتنا، وبالفعل كان هناك تشجيع من قبل الوزارة لنا في توفيرها المكاتب الخاصة والسكن، إلى جانب المنحة الشهرية، وبعد أن تقدم كل واحد منّا بمشروعه قمنا بتنفيذ هذه المشاريع وإنجازها في فترة قياسية لنفاجأ، بعد انتهائنا من تنفيذها، بأنها أصبحت مجرد حلم لا غير، خاصة بعد أن وجدنا أن المشاريع التي نفذناها ليس لها قبول لدى المؤسسات الحكومية وغير الحكومية، وعدم اعترافهم بأي ابتكار محلي بحجة أنه لم يطبق بعد، على الرغم من أنه قد يفوق المشاريع والابتكارات التي تصنع خارجياً، لذا لم يكن من المخترعين الأربعة الذين كانوا موجودين معي إلاَّ أن تركوا الإدارة، خاصة بعد انتهاء المدة المخصصة لنا من الوزارة، وذهبوا للعمل في أماكن وجهات ليست لها علاقة بعالم الإبداع، لقد أصبحت أنا الوحيد في هذا المكان أناضل من أجل التعريف بمشروعي، مشروع التعليم عن بُعد، الذي يخدم العملية التعليمية بجهود ذاتية، وبالطبع وجدت تشجيعاً من بعض الجهات، لكنه غير كاف، وإلى الآن لم ألمس أي شيء على الواقع، وعلى الرغم من إصراري على المواصلة، إلاَّ أن الخوف واليأس ينتابانني بين الحين والآخر بأن يكون مصيري نفس مصير زملائي، لذا أتمنى أن يجد المبتكر من يدعم ويشجع ابتكاره ويجد الجهة التي تقوم بتصنيعه وإخراجه إلى الواقع، وأن تعطى الأولوية للابتكارات والاختراعات المحلية، كما أتمنى أن يوجد قانون لحماية الملكية الفكرية، وذلك حتى يحمي الاختراع من السرقة والتقليد، إضافة إلى أن المبتكر يحتاج إلى تشجيع ودعم مستمر وليس محدوداً ينتهي بانتهاء الاختراع، هذه العوامل جميعها تقف حجر عثرة في طريق المبتكر اليمني الذي يطمح أن يصبح مبتكراً يُعترف به ولو محلياً، إلاَّ أنه في ظل هذه الإشكاليات نجد ابتكاره يولد ويموت في نفس اللحظة».

معاناة مشتركة

□ محمد عبدالكريم الغابري، خريج كلية العلوم، يقاسم خالد المعاناة والمشكلة نفسها، حيث تقدم باختراع في مجال الطاقة الجديدة والمتجددة حاز فيه على المركز الأول في الوطن العربي في معرض الشارقة للاختراعات، وحصل على الميدالية الذهبية في معرض دمشق، وعلى درع الجمهورية السورية، وكذا تكريمه من قبل جامعة الدول العربية، كما أنه عضو المحترفين الدوليين «الإيفا» في سويسرا، وإضافة إلى هذا الاختراع قام باختراع جهاز للتخلص من عوادم السيارات حصل فيه على المركز الأول في طرابلس، وإلى جانب ذلك هناك العديد من الاختراعات التي تقدم بها إلى وزارة الصناعة لتسجيلها في إدارة براءة الاختراع.

هذه الاختراعات جميعها لم تر أي اهتمام أو تشجيع من قبل الجهات المعنية، على الرغم من أنها حظيت بتشجيع واهتمام خارجي خلال مشاركته في المعارض الخارجية.

يقول المخترع الغابري : «قدمت العديد من الاختراعات في مجال الطاقة المتجددة والبيئة، وأيضاً قمت بابتكار جهاز محمول لتنقية المياه المالحة وفوق المالحة، وهذا العمل قمت به بمجهود ذاتي، وليس ذلك فحسب، بل إنني لم ألمس أي اهتمام من الجهات المعنية، فعندما تقدمت باختراعي الأول إلى الجامعة العربية كان الرد بأن ما قمت به لا يعد اختراعاً، لكنني عندما شاركت به في المعارض الخارجية حصلت فيه على العديد من الجوائز والمراكز الأولى، بل إنني وجدت اهتماماً من نوع آخر، وإضافة إلى عدم التشجيع من الجهات المعنية يجد المخترع مشكلة أخرى هي مشكلة التصنيع لهذا الاختراع، فعدم فهم الجهة التي تتولى تصنيعه يدخله في عقبة أخرى، وإلى جانب ذلك فالمخترع في بلادنا لا يحصل على الفرصة المناسبة للمشاركة في المعارض الدولية العالمية لكي يستطيع من خلالها أن ينطلق بابتكاره هذا عالمياً، وإذا حصل على فرصة المشاركة في المعارض العربية فإنه لا يحصل على بدل سفر أو تذاكر للوفاء بمتطلبات الإقامة، كما أن عدم وجود أبواب توفق بين المستثمر والمخترع وتوظيف ذلك لخدمة اقتصاد البلاد يؤدي بالمخترع إلى اليأس والإحباط من الواقع المرير الذي يواجهه».

ويخلص إلى القول : «إن المخترع في بلادنا إذا حاول أن يخدم بلاده بما يمتلكه من ابتكار ويقدمه إلى المؤسسات والمرافق بقيمة لا تضاهي تلك الابتكارات التي تجلبها تلك المؤسسات من الخارج، فإنه بالطبع سيواجه الرفض بدلاً من القبول، وعلى سبيل المثال لقد توجهت باختراع لاقط يدوي لعمال النظافة والمزارعين لإزالة المخلفات من دون عناء إلى أمانة العاصمة، لكنه قوبل بالرفض، وكان ردهم بأنهم يفضلون أن يشتروا هذا الاختراع من شركات خارجية».

إهمال واضح

□ عمر محمد الأكوع ابتكر دراجة هوائية لكبار السن تعمل بالطاقة الشمسية، وبطمح للتوصل إلى اختراع سيارة تعمل - أيضاً - بالطاقة الشمسية، لكن قلة الإمكانات وعدم وجود جهات تتبنى مثل هذه المواهب وتدعمها وتعمل على رعايتها وتطوير ابتكاراتها وإخراجها إلى حيز الوجود، حال دون تحقيق الفكرة.

يقول عمر الأكوع : «فكرة الابتكار جاءت من خلال متابعتي للبرامج العلمية والتكنولوجية ومطالعتي المستمرة للكتب والمجلات المتخصصة بالجوانب العلمية وبالطاقة الشمسية، حيث تولدت لديَّ العديد من الأفكار وبدأت أحاول تنفيذ بعضها، ومنها الدراجة الهوائية التي استغرق العمل فيها حوالي أربعة أشهر».

وأرجع عمر الفضل في تشجيعه ودعمه إلى والده الذي سانده في الكثير من الابتكارات والاختراعات التي شارك بها خارج اليمن وحاز من خلالها على شهادات وجوائز تقديرية.

اختراع عمر الأكوع حظي بحضور وإعجاب وإشادة في ملتقى الشارقة الأول للشباب العربي، لكنه في الداخل لم يلق أي صدى أو اهتمام سوى الإعجاب والتقدير الذي لا يجدي شيئاً.

ويظل عمر الأكوع وغيره من الموهوبين والمبتكرين - وهم كُثر - أسيري أفكارهم وإبداعاتهم، ينتظرون الأمل الذي يبدو أنه لن يأتي ليأخذ بأيديهم ويحقق حلمهم، كما تبقى اختراعاتهم وابتكاراتهم رهينة بما سيجود به المستقبل.

فروق نسبية

□ الدكتور أحمد علي المعمري، أستاذ علم نفس الفئات الخاصة المساعد بجامعة الحديدة، الذي كانت أطروحته للدكتوراه «التفكير الإبداعي عند طلاب المرحلة الثانوية في اليمن وعلاقته بالعمر والجنس والتخصص الدراسي والمستوى التعليمي للوالدين»، وحصل فيها على تقدير امتياز من جامعة بغداد، وتعتبر أول أطروحة دكتوراه يمنية عن الإبداع، حيث طبق فيها الباحث أشهر اختبار عالمي عن الإبداع، وهو اختبار تورانس للتفكير الإبداعي (T . C . T .)، وأظهرت نتائجه وجود فروق نسبية في بعض القدرات (مكونات الإبداع) بحسب العمر والجنس والتخصص الدراسي، كما أثبتت نتائج البحث وجود علاقة إيجابية بين العمر الزمني والمكونات الفرعية للإبداع، بالإضافة إلى وجود علاقة بين الدرجة الكلية للإبداع والعمر.

وأوضحت النتائج أن العلاقة بين الجنس والتخصص الدراسي متباينة بين الذكور والإناث، حيث لوحظ وجود تفوق لدى الذكور في بعض القدرات وتفوق الإناث في قدرات أخرى.

معوقات الإبداع

□ وأرجع الدكتور المعمري أهم الأسباب المعيقة للإبداع والابتكار والاختراع إلى عدة عوامل، منها : التنشئة الاجتماعية والأسرية، والمؤسسات التعليمية والثقافية والحضارية، بالإضافة إلى عوامل سياسية واقتصادية.

وقال الدكتور المعمري : «إن ثقافة المجتمع لا تعطي مجالاً ومكانةً للمبدع وابتكاراته، كما أن التعليم النمطي التقليدي الاسترجاعي القائم على الحفظ والتلقين والتكرار وعدم مراعاة الفروق الفردية وقدرات الإبداع والموهبة والتفوق وقتل الطموح ووأد دافعية الإنجاز في مرحلة عمرية مبكرة، كلها عوامل وأسباب تعيق المبدع وتقتل طموحاته».

وتمنى على صندوق النشء وجائزة رئيس الجمهورية للشباب ومؤسسة السعيد للعلوم والفنون والآداب ومؤسسة العفيف الثقافية والفعاليات الثقافية والعلمية، أن تقوم بإجراء دراسات وأبحاث حول الإبداع والمبدعين ومعوقات الإبداع، وتُقيم ورش عمل وندوات لتقييم الوضع الراهن في هذا الجانب، وتضع الرؤى والأفكار المناسبة لخلق بيئة ومناخ ملائم للمبدعين والمبتكرين والنهوض بالإبداع في شتى المجالات، لا سيما المجالات العلمية.

خطوة هامة

□ الدكتور أحمد علي المعمري اعتبر استحداث إدارة خاصة بالموهوبين والمبدعين بوزارة التربية والتعليم، خطوة هامة وأول الغيث، وإن جاءت متأخرة، متمنياً على الوزارة أن تولي هذه الإدارة الناشئة اهتماماً خاصاً، وأن توسع من نشاطها، بحيث تصبح إدارة عامة توفر لها كافة الإمكانات والدعم اللامحدود، لأن الاستثمار - كما يقول - في الحقل المعرفي ليس فيه أدنى درجة من المجازفة كون رأس المال البشري أهم مكونات التنمية.

ويرى الدكتور شاكر عبدالحميد، الخبير الدولي في تنمية الموهوبين، الذي يتواجد في بلادنا حالياً، أن اكتشاف ورعاية المبدعين الموهوبين سيكون له الدور الأكبر في وضع اللبنات الأساسية للمشروع القادم في تربية وتعليم الموهوبين والمبدعين بعد أن تم وضع اللبنات الأولى للمشروع من قبل وزارة التربية والتعليم.

وأكد أن المسؤولية الشخصية والاجتماعية وواجبات المواطنة تقتضي المشاركة الفاعلة في استنهاض الواقع واللحاق بركب العالم المتحضر الذي لن يتأتى إذا لم تكن قيم الإبداع والتفوق والاختراع والابتكار هي الطريق الذي سيقود إلى الهدف المنشود الذي نصبو إليه.

الجهات المعنية

□ الجهات المعنية بتنمية قدرات المبدعين والمبتكرين، التي تقع عليها مسؤولية دعمهم وتشجيعهم، هي الأخرى تفتقر إلى الكثير من الإمكانات التي تمكن هذه الشريحة من الخروج باختراعاتها إلى الواقع.

البداية كانت مع وزارة التربية والتعليم، ممثلة بإدارة الأنشطة المدرسية وإدارة تنمية المبدعين، حيث يقول الأخ أحمد الحاج، مدير إدارة الأنشطة المدرسية : «أدركت وزارة التربية والتعليم، ممثلة بالأخ الدكتور عبدالسلام الجوفي، وزيرة التربية والتعليم، مجمل التحديات التي تواجه العملية التعليمية والتربوية، فقامت، وبدعم من الحكومة، بإعداد استراتيجية لاتخاذ الوسائل والتدابير لمواجهة تلك التحديات من أجل تحقيق الأهداف العامة للعملية التعليمية، وكان الاهتمام برعاية الموهوبين والمبدعين من الأولويات التي سعت الوزارة إلى تنفيذها من خلال إقامة إدارة عامة للموهوبين، إلاَّ أنها رأت أن الولوج في هذا المجال يحتاج إلى الاستعانة بكوادر وخبرات خارجية، فقامت بالتعاون مع الصندوق الاجتماعي للتنمية، بتبني استقدام خبرات خارجية للاستفادة من قدراتها وتجربتها في هذا المجال، وعليه تم الاتفاق في المرحلة الأولى على أن يأتي استشاري متخصص في مجال المواهب للاطلاع على البيئة التعليمية في بلادنا والوقوف على المبادرة في هذا المجال ووضع نظام مؤسسي بإدارة الموهوبين يساعد الوزارة على الولوج في هذا المجال، وبالفعل تم استقدام الدكتور شاكر عبدالحميد، الخبير الدولي لرعاية الموهوبين، للوقوف على هذه المبادرة وإعداد برنامج أولي للعمل فيه وإيجاد بنية مؤسسية تمكن الوزارة من الاهتمام بهذه الشريحة وتوفير المناخات المناسبة لدعمها وانطلاقة إبداعاتها، والأيام القادمة ستشهد الكثير من النشاطات والإبداعات في هذا الجانب».

إشكاليات متعددة

□ وحول الإشكاليات التي تواجه إدارة الأنشطة في القيام بدورها كما هو مطلوب منها، يؤكد مدير الإدارة أن هناك العديد من الإشكاليات التي تقف أمام الإدارة وتصبح

مركز المبدعين وإدارة الموهوبين أول الغيث... ولكن !؟

مخترعون :

□ نواجه صعوبات كثيرة... وأفكارنا تتعرض للسرقة.

□ نحصد المراكز الأولى في المشاركات الخارجية.. وعدم الاهتمام محلياً.